

التراث الثقافي الجزائري يعاني من ضعف الرقمنة

المحافظات الجزائرية الداخلية الشرقية والغربية، ويعتبر تراثا مهما ونادرا وشاهدا على تاريخ وأصالة الجزائريين. وفي هذا الصدد يشير رئيس مصلحة الدراسات والبحوث بالمركز الوطني للمخطوطات بادرار بايشي عبدالله إلى وجود "153 عملية رقمنة للمخطوطات". ويلفت إلى أن المركز يمتلك أيضا "قرصا مضغوطة به 18 ألف مخطوط مرقمن قدم له كهدية من طرف جامع مخطوطات، وكذلك 86 مخطوطا مرقمنا آخر هدية أيضا من جامعة أدرار بالإضافة إلى 36 وثيقة مرقمنة على مستوى المركز". غير أنه يتأسف لـ"الصعوبات الكثيرة" التي يواجهها المركز في الحصول على المخطوطات لأجل رقمنتها حيث أن "أصحاب الخزائن لا يصحون عادة بالأعداد الحقيقية لممتلكاتهم كما أنهم لا يقدمون تلك التي يعتبرونها ذات قيمة علمية كبيرة، وهذا على الرغم من عمليات التحسيس بأهمية المركز في حفظ المخطوطات". كما أن العديد من الجامعات والهيئات الحكومية أطلقت أيضا منذ سنوات برامج لرقمنة المخطوطات والمؤلفات القديمة على غرار المكتبة الوطنية وجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة والمجلس الأعلى للغة العربية والمجلس الإسلامي الأعلى والمحافظة السامية للأمازيغية. ويعتبر الفن السابع من المجالات الثقافية المعنية مباشرة بالرقمنة، حيث يقول مديره سليم أقر "لقد قام متحف السينما الجزائرية (سينماتيك) التابع لوزارة الثقافة، والذي يعد الأقدم والأكبر في أفريقيا والعالم العربي، برقمنة 15 فيلما قصيرا (16 ملم) من الأعمال الجزائرية النادرة التي تعود للسنينات".

رقمنة أكبر قدر ممكن من مكونات الثقافة الجزائرية سبب ترأها وتنوعها ويجعلها في متناول جمهور أوسع

ويوضح أقر أن عمليات الرقمنة هذه "انطلقت في 2016 وتمت بالجزائر وبالتعاون مع التلفزيون الجزائري". مضيفاً أن مؤسسته تمتلك "60 ألف شريط (بكرة) فيلم تخص أكثر من 5000 عنوان فيلم بين جزائري وأجنبي". من جهته قام المركز الوطني للسينما والسمعي البصري -التابع أيضا لوزارة الثقافة- برقمنة "16 فيلما روائيا طويلا من كلاسيكات السينما الجزائرية وهذا من أصل 120 فيلما مرشحا للرقمنة". يقول مديره مراد شويحي: "موضحاً أن "جميع عمليات الرقمنة تمت بفرنسا وأيضاً بإيطاليا لوجود النسخ السالبة هناك". وتتميز أيضاً في هذا الإطار المبادرة الفردية للمخرج نبيل جدواني الذي أطلق صفحة على الفيسبوك واليوتيوب بعنوان "الأرشيف الرقمي للسينما الجزائرية"، وتضم الكثير من الوثائق الأرشيفية بين أفلام وفيديوهات ومجلات وأفشاش وصور وسيناريوهات وغيرها. "رغم الصعوبات التي واجهها بسبب الملكية الفكرية"، يقول جدواني. ويعتبر هذا المخرج الشاب أن مشروع -الذي انطلق في 2012- يهدف لـ"التعريف بالسينما الجزائرية وترقيتها"، مضيفاً أن الرقمنة "أداة ملزمة ومهمة" للنهوض بالثقافة في أي بلد، متأسفاً في نفس الوقت لـ"التناحر" الذي تعرفه الجزائر في هذا المجال "على الرغم من ثراء تراثها وتنوعها".



الرقمنة ضرورة ثقافية

الجزائر - تسمح عملية الرقمنة بصفة مدروسة وجدية بحفظ التراث الثقافي الجزائري من الضياع والتعريف به وجعله في متناول الباحثين والمهتمين، والأهم من هذا صون ذاكرة الجزائريين وهويتهم، وقد برزت في السنوات الأخيرة العديد من المشاريع في هذا المجال، بين حكومية وخاصة، غير أنها تبقى محدودة ولا تلبى حجم وثراء وأهمية هذا التراث والإهمال الذي يعانیه.

وتتنوع حالياً مشاريع الرقمنة بتنوع هذا التراث غير أنها تتعلق عادة بميادين ثقافية أكثر من غيرها كالمخطوطات والمؤلفات القديمة (التاريخ والدين والأدب) والتراث المادي والمسرح، بالإضافة إلى الأعمال السمعية البصرية من أفلام سينمائية وغيرها.

وانطلقت وزارة الثقافة الجزائرية منذ عام 2016 بوابة إلكترونية مخصصة للتراث المادي واللامادي كالسينما والمسرح والأدب ومختلف التعبيرات الفكرية كالقصائد الشعبية والأغاني والأناشيد، وكذلك المهن المتعلقة بالفنون بالإضافة إلى المتاحف والمواقع التاريخية والأثرية.

وتهدف هذه البوابة لرقمنة أكبر قدر ممكن من مكونات الثقافة الجزائرية بغية إبراز ثرائها وتنوعها وجعلها في متناول أكبر عدد من الجمهور، غير أن البوابة لا تزال إلى اليوم محدودة وغير فعالة في الكثير منها حسب ما يلاحظ بالموقع.

وللغن الرابع نصيب أيضاً من الرقمنة حيث أطلق المسرح الوطني الجزائري منذ خمس سنوات عمليات في هذا الإطار لبريوتواره من المسرحيات البالغ 192 عملاً (منذ تأسيسه في 1963)، حيث تتنوع أعماله المرقمنة بين "فيديوهات ونصوص مسرحية وصور ومطويات وأفشاش"، وهذا لـ"تلبية الطلب على هذه الأخيرة من طرف الطلبة والباحثين والمخرجين وأيضاً منظمي المعارض والقنوات التلفزيونية"، كما يقول رئيس مصلحة الأرشيف والتوثيق بالمسرح أنغلاس مصادي.

وليس التراث المادي بمنأى عن الرقمنة وخصوصاً "الوقائمية" منها حيث يبرز هنا مشروع الباحث في علم الآثار فريد إيجيل أحرز الذي أشرف في 2015 على حفريات بالمعلم الجنائزي لملكة الطوارق تينهنان بتمنراست وأجرى حينها "مسحا تصويرياً" (مسح ثلاثي الأبعاد) "يسمح مستقبلاً بإعادة إصلاح المعلم عند أي ضرر يصيبه" مثلما ذكر إيجيل أحرز.

وإضافة إلى الجانب الوقائي أوضح الباحث أن للرقمنة فوائد أخرى أهمها "تقنين المعالم الأثرية والتعريف بها افتراضياً وبخاصة تصورها الهندسية والمعمارية وكذلك الأرشيف والسماح بعمل مجسمات حقيقية عنها بالإضافة إلى تسهيل الدراسة والبحث فيها والمساعدة حتى في إعادة بناء معالم شبيهة منهاراً".

"الرقمنة الوقائية" هي أيضاً في صميم أبحاث مخبر الهندسة المعمارية المتوسطية لجامعة فرحات عباس بسطيف الذي انتهج بدوره منذ سنتين طريقة عمل تعتمد أخذ بصمات رقمية ثلاثية الأبعاد للممتلكات الأثرية بهدف الاحتفاظ بها في قاعدة بيانات لاستغلالها في ما بعد في الترميم في حال ما إذا تعرضت للتخريب بفعل عوامل طبيعية أو بشرية.

وتعتبر المخطوطات من أهم الدعائم المعرفية المحتاجة للرقمنة نظراً إلى قدمها وقابليتها الشديدة للتلف، وخصوصاً المخطوط الدينية الذي تحوزها الزوايا المنتشرة عبر مختلف

انتهى زمان الأشجار وانطلق زمان الجذامير السوري عزت عمر: الرواية العربية الحديثة تجاوزت الأيديولوجيا



الكثير من الشعراء والنقاد وحتى الأكاديميين تحولوا إلى كتابة الرواية، كل بنفسه الخاص ورؤيته التي يسعى من خلالها إلى ترسيخ بصمته في هذا الجنس الأدبي المفتوح. وإن قوبل الكثير منهم بالنقد وحتى بالتضييق، فإن آخرين أضافوا للرواية الكثير. وهذا ما يؤكد الناقد والكاتب السوري عزت عمر الذي لاقته "العرب" في حوار حول رؤاه للرواية كتابة ونقاداً.

محمد الحماصي
كاتب مصري

مسيرة حافلة بالإبداع القصصي والروائي والنقدي قطعها الكاتب السوري عزت عمر ولا تزال تواصل عطاءها، قدم خلالها نحو 20 رواية ومجموعة قصصية شكلت خصوصية أفاق رؤيته للعالم، كما خط العديد من الكتب النقدية التي رصدت تجليات الحداثة في القصة والرواية والشعر عربياً، ليتمكن من الموازنة بين الإبداع والنقد دون أن يطغى أحدهما على الآخر، وأيضاً من تحقيق مكانة متميزة داخل المشهد الثقافي العربي. كان أول اشتغاله عمر بالبحث التاريخي والتراثي حين قدم للمكتبة العربية كتاب "رسالة دعوة الأبطال" للفيلسوف الطبيب ابن بطالان، ثم كتب روايته الأولى التي نشرت في ملحق مجلة الخليج في مطلع التسعينات، كما توجه للطفل ليكتب له، لتتوالى إبداعاته رواية وقصة ونقاداً، فضلاً عن اشتغاله بالكتابة الصحفية.

النقد والرواية

بداية يؤكد عزت عمر أنه لم يفكر بالكتابة النقدية ولا بان يكون ناقداً، لكن الصدق وخلو الساحة من النقاد المجددين فتحت أمامه المجال، وهذا جانب من الأمر، أما الجانب الثاني فهو الاشتغال على الذات بالإطلاع على كل ما صدر بالعربية من كتب نقدية بمنهجها المتعددة، وساهمت الثقافة الشخصية والبصمة الإبداعية الخاصة في تعزيز مكانته النقدية. ويضيف "نشرت مؤخراً مجموعة قصصية بعنوان 'غريب في نهر افتراضي' وأظن أنها قدمت جيداً في مجال القصة التي يمكن تحويلها إلى رواية، ولا أخفي عليك أنني سائتشر قريباً رواية 'مولود الأرجوان'، فضلاً عن الكتب النقدية، وقد صدر مؤخراً كتابان جديداً أولهما 'رواية ما بعد الحداثة' تتبع في ظاهرها سردية استجرت مع الانعطاف الرقمية ودخل بعض المجتمعات العربية هذه المنطقة من الوعي، بل والمساهمة في نحتها كنموذج إنساني متقدم كما هو حاصل اليوم في دولة الإمارات".

الرواية رصد دقيق لأنظمة التفكير المجتمعية بواسطة الشخصيات أما النقد فهو آلة قياس لتطور السيرة الإنسانية

ويضيف "أما الكتاب الثاني فقد أسميته 'النصّ المسافر' بحث في أنماط السرد الروائي رصدت فيه أهم محطات الرواية التي انطلقت من حضارة ما وأثرت في محيطها القريب بسفرها مع البحارة والتجار، وهي رؤية جديدة لأهم الأعمال السردية التي ما زالت حاضرة في الوجدان الإنساني، كملحمة جلجامش وأثرها فيمن تلاها من النصوص واللبازة والأوديسة لهوميروس وسواهما من أساطير الشعوب التي يمكن اعتبارها محطات سردية ظلت حاضرة رغم مرور الزمن، وكان لابد من تتبع الأعمال السردية التراثية التي انطلقت مع الإسلام والحضارة العباسية وقدمت نماذج سردية تم إنجازها في تلك المرحلة المبكرة من وعي العالم بأهمية السرد كغالبية فكرية وثقافية، وإلى جانب ذلك تناولت الرواية العربية الحديثة في فصل والرواية العالمية في فصل

نعيش ثورة أهم من الثورة الصناعية

على نحو ميكانيكي، إذ أن 'بعد' تعني أحدث أو الأكثر حداثة بمفهومهم البسيط الذي راى في هذا الحيز، ولا يريد أحد أن يتعب ذاته في تتبع نشأة المفهوم وتطبيقاته تقدياً على الرواية والشعر والسينما والفن، وليس قسمة مبالغة في رأينا هذا، لأن المشهد ما زال يعاني استعصاء تاريخياً بسبب تسييس المفهوم".

ويلفت عمر إلى أن أحد أهم منظري ما بعد الحداثة هو إيهاب حسن، الذي تناول هذا المفهوم منذ عقود، كوعي مغاير ومتجاوز لنظام التفكير الحدائي، يعني بما يشبه الانقلاب الصاعق الذي، كالعادة، تمس حماريته من قبل حراس اليقين ممن كان لهم موقف مماثل من الحداثة نفسها، كحال فنية ترتبط برهاب الجديد جرياً على عادة القديما الذين كانوا يعتقدون الملابس الجديدة كي لا يلتفتوا انتباه الحساد مثلاً، وقد يبدو هذا المثال بسيطاً، لكنه، في رأيه، يمكن أن يفسر هذه الظاهرة القارة في المشهد العربي والشرقي الذي لم يستوعب بعد سيورة العالم الجديدة وأثر التفاعل الثقافي عبر انفتاح الحدود أمام السلع والعمالة وتبني قيم جديدة تستمر في العقول.

يقول عزت عمر "اليوم نحن نتبادل الأفكار مع العالم عبر الترجمة الآلية المباشرة كحد أدنى، إن لم نقل عبر اللغة الإنجليزية. وقد رافقت الرواية في تطورها التاريخي تطور الوعي الإنساني، وعبرت عن هذا الوعي باللغة وفنون القول التي أبدعها الرواة مع مرور الزمن. إن رواية الأمس هم روائيو اليوم يتفنون في إبداع أنماط سردية بما يؤكد مقولة لوكاتش من أنها ملحمة وجنس غير منته في كونه، وهي ماضية في تطورها بما يتناسب وزمانها من أنظمة التفكير والحركات الثقافية في مجتمع واحد أو مجتمعات تتجاوز وتتخالف".

يكون كاتباً. ما الذي يمنع؟ إن الانشغال بالكتابة يعني بالنسبة لي دخول منطقة وعي جديدة تختلف جذرياً عن الثقافة الشفاهية.

محاورة الجديد

حول ما يتهدد الرواية العربية اليوم ويجعلها في خطر سواء من مؤسسات ثقافية أو أبعاد وتأثيرات الإنترنت ووسائل التواصل والاتصال، يؤكد عمر أنه لن يهدد الرواية أي مما ذكر ما لم يات زمان جديد وانعطاف جديدة تغير أنماط التفكير السائدة، وعندها يمكن القول إن زمان وانطلق زمان الجذامير أي الرواية قد انتهت كما انتهت الأجناس الأخرى من قبل.

ويتابع "أرى العكس في مجتمعات مدن ما بعد الحداثة الذكية فكل شخص قد يغامر في هذه التجربة بانماط غير ملاحظة حتى الآن، لكنها موجودة لا ينتبه إليها، بمعنى آخر ويتعبير جيل دولوز، لقد انتهى زمان الأشجار وانطلق زمان الجذامير أي الأجناس المتشابهة الجنور والممتدة عالمياً حتى القرى النائية في الأقاليم الجغرافية المختلفة طالما أن ساكنها يحمل الهاتف الذكي ويتواصل مع العالم عبره. إننا نعيش ثورة حقيقية مثلها مثل الثورة الصناعية بل ربما أهم على صعيد الإنسان وتقدمه بعيداً كل البعد عن ثقافة العسكرية والتسلح والحروب المدمرة التي شهدها القرن السابق على أمل أن تعم ثقافة السلام والتفاعل بين الثقافات بدل احترابها".

ويضيف "تأكد القارئ العربي اليوم أن ثمة تحولات حضارية على المستوى العالمي قد تمّت، وبخاصة بعدما شرع الكتاب والمفكرون في تداول مفهوم 'ما بعد الحداثة' نقدياً وتعميمه، وكان النقد الطليعيون الذين تداولوا هذا المفهوم في كتاباتهم، قد عانوا من مسألة عدم الفهم والمواجهة الصامتة من زملائهم ومن المشهد الثقافي الاجتماعي حتى إنني كتبت ذات مرة أن هذه الوسائل أتاحت لكل إنسان أن

أخبر وذلك لتأكيد مقولة أن البشرية ما زالت تكتب نصّها الإنساني غير المحتمل". ويرى عمر أن كتابه "رواية ما بعد الحداثة" يسعى إلى الإضاءة على وضع دور الرواية العربية الآن في عالنا العربي، يقول "الأمر يحتاج إلى اشتغال بحثي ينتهي إلى نتائج، ولكن أستطيع إخبارك بكل ثقة أن هذه الرواية تتقدم وثقة من نفسها، وقد تمكنت خلال العقود الخمسة السابقة من التوضيح في صدر الأجناس الأدبية. أما بالنسبة إلى دورها عربياً فإنها فنّ كتابي راق قبل أن يكون لها رسالة فكرية بعينها، وأظن أنه يكفيها من مهمة تعزيز حضور الثقافة واللغة العربية في هذا العالم المعولم".

ويؤكد أنه ليس من أنصار الرواية الميسية فـ"الخطاب السياسي" مكانه ليس هنا، والرواية إذ اهتمت بالجانب السياسي إنما لتعكس مؤثرات هذه السياسة على الشخصيات المختارة كنماذج يمكن تعميمها من مثل رواية نجيب محفوظ "يوم قتل الزعيم"، أو "الصخب والعنف" لأبير قصيري أو "حجر السراير" لنبل سليمان، وفي بيتنا رجل" لإحسان عبدالقنوس، فجميعها انطلق من حدث كبير كالاتيالي السياسي، وأثر السياسة على مصائر الشخصيات اجتماعياً وثقافياً وسوى ذلك. ومن هنا فإن الرواية هي عبارة عن رصد دقيق لأنظمة التفكير المجتمعية يعبر عنها بواسطة الشخصيات، والنقد بدوره يمكن اعتباره آلة قياس لتطور وتقدم السيرة الإنسانية التي تم تناولها في الرواية، ثلاثية نجيب محفوظ مثلاً وثلاثية البحر لحنا مينه وغيرها من مثل كتابات يوسف إدريس وصنع الله إبراهيم ووليد إخلاصي وغيرهم".

ويشير عمر إلى أن زحف الشعراء والنقاد على كتابة الرواية طبيعي، إذ طالما تمكنت الرواية من تصدّر الأجناس الإبداعية فمن حق الجميع أن يعبر إبداعياً سرداً كان أو شعراً، فما الذي يضير المشهد إن انتقل شاعر إلى الإبداع السردية، بل ربما أظن أنه قد يقدم مقترحات جديدة تغيد السرد وتساهم في تقدمه مع أنني أعرف نقاداً فاعلين انصرفوا إلى كتابة الشعر للتعبير عن الذات وهذا أيضاً يؤكد أن الكتابة والتعبير عن الذات حق لكل إنسان لتلمسها اليوم في مواقع التواصل الاجتماعي حتى إنني كتبت ذات مرة بأن هذه الوسائل أتاحت لكل إنسان أن

